كتاب في حلقات.. جمال البنا..

الحلقة 5

الجهاد من منظور جديد

اعداد / فهد سلطان
fahdsltan1980@gmail.com

يواصل الاستاذ جمال البناء استعراض طبيعة الاسلام الجهادية من خلال مجاهدة الرسول بالقرآن وتعليم المسلمين كيفية هذه المجاهدة باسلوب شيق وجميل.

والتي غابت عن الفقهاء قديماً وكانت السبب وراء الفهم المغلوط لمفهوم الجهاد والقتال في القرآن الكريم

الفصل الثاني:

دستور الجهاد الإسلامي اليومي والدائم

1) هدى القرآن 2) الصبر والثبات في مواجهة الاضطهاد 3) الحكمة والموعظة في التعريف بالدعوة 4) الإنفاق .. الإنفاق 5) الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر 6) المقاصة 7) الهجرة كملاذ أخير عندما يضيق الخناق

رأينا أن الإسلام له طبيعة جهادية، وهذه الطبيعة تقتضى من المسلم سلوكاً خاصاً، والتزاماً بالقيم الجهادية في الإسلام إيجابية وسلبية. وهذا السلوك هو ما يتضمنه بالدرجة الأولى والأساسية توجيهات وموجبات القرآن الكريم، كما تجلى في سلوك وسياسات وتصرفات الرسول، وسنعرض هنا لأبرز هذه التوجيهات ..

أولا: هدى القرآن"وجاهدهم به ..."

وقفت طويلاً أمام هذه الآية:]وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا[{الفرقان 52} .. الضمير هنا يعود إلى القرآن الكريم.

كيف يمكن للرسول أن يجاهد بالقرآن ؟

وكيف يمكن للمسلمين أن يجاهدوا به ؟

وكنت كلما أفكر كلما كانت تتفتح أمام بصيرتي أفاق ومجالات ووسائل وطرق.

من الممكن أن يتلو الرسول القرآن على مسامع المشركين وقد أمره الله بذلك]وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ[{النمل 92} ..

وما كان الله تعالى أن يقول هذا لولا أنه يعلم أن في القرآن نفسه – في معانيه وألفاظه وأسلوبه ونظمه ما يؤثر على نفس المشرك بحيث يزلزل شركه ويجعله "يعود بوجه غير الذي دخل به" ..

وقد حدث هذا ...

ولكن هناك ما هو أكثر ...

هناك أن يتوجه الرسول، والدعاة إلى غير المسلمين، بالمعان والتوجيهات التي أمر بها القرآن الكريم وهو ما يدخل في الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ..

ولكنى كنت أفكر في استخدام القرآن كأداة للجهاد، كما هو منطوق الآية، وليس للهداية.

وهذا ما توصلت إليه أخيراً ...

إن قراءة القرآن، والاستماع إليه بصفة منتظمة، أو شبه منتظمة، تبنى شخصية المسلم وتزوده بروح الكفاح بل وتعده لهذا الكفاح.

وإذا راجعنا القرآن لوجدنا أن ثلاثين سورة على الأقل من السور الطوال التي تحمل في ترتيب الأرقام من 10 إلى 30 وتبدأ بسورة يونس، وتنتهي بسورة السجدة التي تحمل رقم 32 كلها سور مكية لا تتضمن قتالاً ولكن جهاداً وكل سورة منها تحرك الجبال فما بالك بالإنسان وتحمل من القوى والمحفزات ما يدفع للجهاد.. وتتضمن من القوارع والتنديد ما يؤدى إلى الكف عن كل شر، أو بخل أو استخذاء.

وطالماً كنت أسائل نفسى كيف توصل محمد إلى تربية جيل الصحابة وحولهم من عامة عرب قريش إلى رسل حضارة فيهم أفضل ما يشترط في بناه الإمبراطورية من صدق وإخلاص وشجاعة. وقد انتهت إلى أن هنا يعود بالدرجة الأولى إلى الاستماع المنتظم والمستمر للرسول وهو يتلو في صحراء مكة النائية السور الطوال في صلواته، ولا سيما الصلوات المشهودة، صلاة الفجر، وصلاة المغرب، وصلاة العشاء. التي كانت جمهرة الصحابة رجالاً ونساءً يحضرونها، وأتصور أن الملائكة أيضا كانت تحضرها وتضع أجنحتها لها.. إن صوت الرسول. ونظم القرآن ومعاني الكلمات كانت تنزل من شفتي الرسول إلى أعماق القلوب لتقر بها وتتغرس فيها ما تنطوي عليه من أمر ونهى ووعد ووعيد دفع للخير ومقاومة للشر وصبر على المشاق وصدق في القول ووفاء بالعهد وعدل في التعامل.. كل هذه القيم يسوقها القرآن في نسق فريد وفى نظم له ما للموسيقى من آثر في النفس.

أن كل أساسيات الإسلام ودعائمه وقيمه تكون على أفضلها في القرآن الكريم، ولا يقتصر عنصر الامتياز على حسن العرض وسلامة التصوير، ولكن يضاف إليه النظم الموسيقى الذي يعطى المعاني قوة وعذوبة ويدفع بها إلى القلب وهذه هي أهمية التلاوة، والأمر الإلهي "وأن أتلو القرآن..." أو الاستماع إليه هي طريقة تعلمه.

نعلم أن الفنون والآداب تقوم في العصر الحديث بدور بارز في التثقيف وصقل الشخصية وتنمية الوجدان وأن الاستماع إلى الموسيقى في نواديها أو حضور السيمفونيات ذات الشهرة العالمية وكذلك حضور حفلات الأوبرا والبالية.. كلها جزء لا يتجزأ من الثقافة الاجتماعية للإنسان الأوربي. وهم يحضرون في أبهى ملابسهم – رجالاً ونساءً – ويجلسون يستمعون في صمت وإصغاء فلا ترتفع نأمه حتى ينتهي المشهد ليكون من حقهم التصفيق وهم يرون أن هذا الجانب من أهم جوانب سمات الشخص المتمدن والمهذب، وأذكر ما رواه أستاذ في الجامعات الأمريكية – من أصل عربي. من أن إحدى السيدات ألحت في زيارته بمنزله، ورغم غرابة هذا الطلب. فقد رحب الرجل ودعاها، فلم تكد تدخل وتشاهد بيانو كبير في الصالة حتى سألته عنه وعندما قال لها إنه خاص به وأنه يعزف عليه أحياناً حتى ولت على أعقابها وفهم الأستاذ بعد ذلك أن رؤية هذا البيانو دلها على أنه أستاذ مثقف متمدن كالأوربيين، وأنه ليس شرقيا بدائياً. كما قد يتبادر إلى ذهن بعضهم !

صلاة الجماعة، والاستماع إلى السور الطوال، خاصة إذا كان في مسجد مفتوح كمسجد الرسول في المدينة حيث تتبدى الشمس الغاربة.. أو السماء الصافية. وفى جو الاستغراق الذي تفرضه الصلاة بحيث لا يرتفع صوت خلال القراءة تنتقل الآيات إلى النفس وتفعل فعل السحر فيها وعندما يتكرر هذا يصبح طبيعة ثانية.

في العصر الحديث كانت إمامة الإمام الشهيد حسن ألبنا لشباب الإخوان في صلوات "الكتيبة" في المغرب والعشاء، أو الفجر من أقوى الأساليب في التكوين الروحي والنفسي لشباب الإخوان. وقد قدر لي أن أشهد إحداها، كما أنى أذكر حتى الآن صلاة الإخوان في معتقل الطور وكان يؤمنا أحد العمال، وكان له صوت شجي مؤثر ينفذ إلى القلوب ولا أزال أتذكر صوته – بعد خمسين سنة – وهو يتلو دعاء إبراهيم في سورة إبراهيم كأنما يصدر من قلبه وهو يقف عند آخر الآية 40 من السورة وهى كلمه "دعاء" رب أجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي وتقبل دعاء ..

وكثيراً ما تتملك الحيرة والعجز طالبي الإصلاح.. أنى لهم أن يصلحوا النفوس ويعالجوا القلوب.. وأنا أدلهم على طريقة سهلة وسائغة، تلك هي المشاركة في صلاة المغرب والعشاء (وحبذا لو كان يوم خميس) وراء إمام يتقن القراءة على غير عادة القراء. فهو يقرأ قراءة متأنية، واضحة، يؤدى فيها للحروف حقها كما في علم التجويد ولكن دون تقعر – وأن لا يكون ذلك في مسجد مغلق ولكن في صحراء مكشوفة يقرأ سوراً من السور الطوال (الأعراف أو الإسراء أو التوبة الخ...) أؤكد أن وقع الكلمات سيكون عليهم أعظم أثراً من وقع الموسيقى على الأوربيين، وأنهم سيتشربوها، وفى النهاية يمكن أن توجد فيهم السليقة القرآنية ...

إننا نؤكد هنا ضرورة الاقتصار على التلاوة بالصورة التي حددناها، بحيث لا يكون هناك أى شرح أو تفسير.

نعود إلى الغرض من إيراد كل هذا.. أن الرسول جاهد المشركين بالقرآن بطريقتين. فمن ناحية فإنه عندما كان يتلوه عليهم، أو يدعوهم بما فيه من الحكمة والموعظة الحسنة فإنه كان يزلزل شركهم ويعدهم للإيمان ومن ناحية أخرى فإن صلواته بالمسلمين خاصة في مكة، وقراءاته بالسور المكية الطوال كان من أكبر العوامل التي غرست هدى القرآن في نفوس الصحابة بحيث خلقهم خلقاً جديداً، وكيف لا يخلقهم خلقاً جديداً وهو يقرأ عليهم]وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ[{الرعد 31}.

أي واحد يستمع حاضر القلب إلى تنديد القرآن بالبخل واكتناز الأموال، وأمره بالكرم والإنفاق ثم يكون بخيلا؟ وأي واحد يسمع تقريع القرآن للذين لا يتفكرون ولا يتدبرون ويقولون نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ثم يكون مقلداً دون فكر أو تدبير؟ أي واحد يسمع الثناء الجميل على القلب السليم. والعمل الخيّر، والوفاء بالعهود والصدق في القول والإخلاص في العمل ثم يكون ناكثاً للعهد، فاعلاً للشر، تاركا للخير.

كيف يمكن أن يدعى أنه مسلم، ويحلف بالقرآن وهو يخالف القرآن ليل نهار !

إن السماع المنتظم لآيات الذكر الحكيم يخلق الإنسان خلقاً جديداً يذهب بالأباطيل والشهوات والعادات الموروثة ويهدى إلى القيم العظمى من عدل، وحرية، وإخلاص وخير ...

وقد لا يتم هذا فوراً، أو بالصورة الكاملة لأن العادة طبيعة ثانية، والتقاليد تتملك النفوس وليس من السهل التحرر منها، ولكنه مع المواظبة والاستمرار يحدث.

فإذا كان هذا لا يحدث اليوم، فذلك لأن المسلمين لا يقرؤون القرآن. وإنما يقرأون التفاسير ولا يستمعون إلى القرآن ولكن يستمعون إلى تلحين القرآن. أو يكرون كراً دون أي وعى أو فكر كلمات الذكر الحكيم تنشيطاً لعضلات اللسان! وليس في هذا أو ذاك ما يفيد.. ثم هم لا يمنحون القرآن قلوبهم ولكن آذانهم أو حتى بعض آذانهم لأنهم يستمعون وهم مشغولون باهتمامات أخرى، ومثل هذا بالطبع لا يأتي نتيجة وإنما تأتى النتيجة عند السماع المنتظم للسور الطوال في الصلوات لأنها المناسبة التي تُهيئ القلب. وهذه هي الحكمة في الصلوات الطويلة التي كان الرسول يؤديها. أنها كانت تعليماً للمسلمين وبناء لنفوسهم، فلابد من تخصيص الوقت اللازم لذلك لا باعتبارها أداء عبادة ولكن باعتباره جهاداً وبناءً للنفس لأن العبادة يمكن أن تؤدى بقصار السور، والله تعالى غنى عن العالمين. وما يراد من هذه الصلوات هو أن تنطبع الآيات على قلب المسلم فتخلقه خلقاً جديداً ...

ومن الخير أيضاً أن يفكر الخطباء في صلاة الجمعة وغيرها في استخدام القرآن بدلاً من كلامهم الغث. وقد كان الرسول يخطب بالقرآن. وتحدثت صحابية أنها ما حفظت سورة "ق" إلا من كثرة ترديد الرسول لها في خطبه.

ثانيا : الصبر والثبات في مواجهة الاضطهاد

ما أن يؤمن المؤمن حتى يتعرض لصنوف من الاضطهاد، هذه سُنة الله في المجتمع الإنساني. وقد تعرض لها المؤمنون الأول وتحدث إليهم الرسول عن الرجل الذي كان يشق رأسه بالمنشار وذكر القرآن الكريم الأخدود الملتهب الذي يلقى فيه بالذين يرفضون كلمة الكفر ويتمسكون بكلمة الإيمان. ونعلم من التاريخ الويلات والفظائع التي تعرض لها المسيحيون الأول على يد أباطرة الرومان.. وكيف كانوا يجعلونهم طعمه للوحوش المفترسة ..

وقد تعرض المسلمون الأول لصنوف من الاضطهاد صبها عليهم سادة قريش وأثرياؤها حتى راح ضحية لها ياسر أبو عمار وسمية أمه. فكان الرسول يمر عليهم وهم يعذبون فيقول لهم «صبراً آل ياسر إن موعدكم الجنة.»

وقد يستغرب البعض هذا الموقف من الرسول أو يتصور أنه قد كان عليه أن يفعل شيئاً ليخفف عنهم العذاب الأليم ..

ولعل الرسول كان يتمنى ذلك أيضاً. ولكن ألقى في روعه أن الصبر، وليس التخفيف، هو السلوك الأمثل في مواجهة الاضطهاد، لأن القضية ليست قضية حالة فردية، فهناك الملايين من الرجال والنساء أمثال ياسر وسمية سيتعرضون للعذاب في سبيل مبادئهم ولن يجدوا نبياً يشفع لهم وسيكون عزاءهم الوحيد، ومصدر مقاومتهم وصبرهم هو أنه كان هناك في صحراء العرب القاحلة من عذب حتى مات من العذاب، بمقربة من نبي الرحمة، ليقضى الله أمراً كان مفعولاً. وليمض ما وضعه من أسس وأصول لظهور الدعوات ونجاحها. رغم ما يوضع في سبيلها من عقبات وما يتعرض له دعاتها من عذاب ..

الدولة المدنية ودولة المدينة

تيسير السامعي

الدولة

المدنية هي دولة الحرية والمساواة والعدالة التعايش

الدولة المدينة هي التي تكفل الحقوق والحريات وتحترم التعددية وتلتزم بالتداول السلمى للسلطة وتعمل على سيادة القانون وتحقيق المواطنة المتساوية الدولة المدينة ليست دولة دينية وليست دولة علمانية لأنها تقوم على أساس الحياد الإيجابي تجاه القناعات والمعتقدات بمعنى إن لا يمارس الإقصاء والتهميش والتمييز تجاه مواطن بسبب معتقداته أو أصوله كما أنها لا تمنح ميزات لمواطن بفضل معتقداته أصوله فهي مؤسسة جامعة لكل المواطنين تمثل مجموعة إراداتهم الدولة المدينة الحاكم فيها مجرد موظف عند الشعب يحاسب ويراقب ويغزل إذا أخطاء أو قصر لان الشعب هو مالك السلطة ومصدرها الوحيد الدولة المدينة تحترم مبدأ تكافؤ الفرص وتجعل الكفاءة هي أساس التعيين في الوظائف الحكومية ولا توزع وظائف الدولة بموجب مواقف الناس السياسية

يتمتع المواطن في الدولة المدينة بكافة الحقوق والحريات السياسية والمدينة مثل حرية الرأي والتعبير وحرية الفكر والدين وتشكيل الأحزاب التنظيمات السياسية والنقابات وحرية التظاهر والتجمع واستخدام كافة الوسائل التي تمكنه من إيصال صوته للآخرين

أي دولة انطبقت عليها هذا الشروط والمعايير صارت دولة مدينة إن لم تطلق على نفسها هذا المسمى لان الدولة المدينة قيم ومثل وسلوكيات تطبق على ارض الواقع ليس مجرد كلام يقول في الخطب ويردد في وسائل الإعلام ...

لقد كنت أول دول مدينة في التاريخ هي دولة المدينة التي أسسها محمد صلى عليه وسلم بعد ان هاجر من مكة لأنها اتسمت بكل معايير شروط الدولة المدينة فقد كانت دولة العدالة والمساواة والتعايش عاش فيها المسلم واليهودي والمشرك عيشا مشترك ينعمون بمواطنة متساوية في ظل قيادة عادلة تحكم بالقسط ويحقق مبدأ تكافؤ الفرص و ينضم شئون الدولة وفق دستور مكتوب متوافق عليه الصلاة وسلم سمي " وثيقة المدينة «

لقد نصت الوثيقة في احد بنودها إن اليهود أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ، إلا نفسه وأهل بيته. هذا فيه تجسيد للمواطنة المساواة كما انها نصت (يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة , وأن بين جميع المتعاقدين النصح والنصيحة والبر دون الإثم. وهذا يجسد مبدأ الشراكة التعايش والقبول بالآخر

لم يتوقف الأمر عن هذا الحد فقد جسدت سيرة الرسول صلى عليه وتعامله مع مختلف شرائح المجمع ومكونات الدولة وتعامله مع المواطن اليهودي كما يتعامل مع المواطن المسلم الشواهد علي ذلك كثير لا يتسع المجال لذكرها في هذا المقام ..يكفى من هذا كله ما تشير إليه كتب السيرة النبوية أن الرسول صلى عليه وسلم مات ودرعه مرهونة عند يهودي.